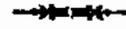


الحديث ذو شجون

للدكتور زكي مبارك



كلام ينفع ١ - فائدة تاريخية - أساطير الأولين - اختراع الأحاديث - محاربة الوثنية - الحصار الفنى في الإسلام - إلى مال وزير الأوقاف - أبيبوا ، يا أصدقاء الرسالة - الأجاج - بلاد الأستانة - أحد أمين - بين الرسالة والتفانة - أيام وأيام - يوم السبت

كلام ينفع ١

لغيتى بعض الأصدقاء وهو مزعج أشد الانزعاج ، قلت : ماذا بك ؟ فأجاب : سديقي فلان كان يلقاني في كل يوم ؛ ثم انقطعت عن أخباره منذ أيام ، وأنا أختشى عليه كوارث هذه الأوقات للسود

قلت : هل كان يحاول الانتفاع بجاهك في شأن من للشؤون ؟

فقال : وما الموجب لهذا السؤال ؟

قلت : إن كان ذلك فلا تضجر ولا تنزعج ، ولا تقوم أن سيارة داسته ، أو أن قنبلة سقطت عليه ، وإنما يجب أن نسر ونفرح ، لأن انقطاعه عنك ليس إلا أمانة على أن تبك في خدمته قد وصل به إلى ما يريد ، فاستغنى عن التوود إليك ! فقال : أ كذلك يكون إخوان هذا الزمان ؟

قلت : كذلك كان الإخوان من قديم الزمان ، وسيكونون كذلك إلى آخر الزمان !

فقال : ولكنى مع ذلك مشتاق إليه أشد الاشتياق

قلت : صبراً ثم صبراً ، فمتشبع من رؤيته يوم يحتاج إليك ، وسيحتاج ثم يحتاج ، لأن الله كتب الفقر على من يشكرون الجليل

فأمره تاريخية

كان للعرب يؤرخون بواقعة الفيل ، قبل أن يؤرخوا بهجرة الرسول ، فكيف كانوا يؤرخون قبل هلاك أصحاب الفيل ؟ أرخ الصيرى هوم أبرهة على الكعبة بأنه كان في أول الحرم سنة اثنتين وثمانين وثمانمائة من تاريخ ذي القرنين فهل يفضل أحد كتاب (الرسالة) بتحقيق هذا التاريخ ؟

المعروف جيداً أن للعرب قبل الإسلام قد اختلفوا في التوقيت ، وذلك يشهد بتأثرهم للحركة العلمية عند المصريين والسكندانيين ، فهل يمكن الوصول إلى معرفة ما كانوا عليه في التاريخ قبل أن ترج أذهانهم واقعة الفيل ؟

والمعروف أيضاً أن للعرب قبل الإسلام كانت لهم صلوات قوية أو ضعيفة بأم ذلك للمهد ، وجرتهم تلك الصلوات إلى وقائع لا تمر بدون ضجيج تنقله الأجيال ، وإن صرت بدون تدوين يحدد مواقعها من التاريخ

على أنه ليس من المستغرب أن يكون للعرب أرخوا بموت ذى القرنين ، فقد كان له في أذهانهم صورة صحابة ضجاجة ، ولولا ذلك لسكت عنه القرآن ، لأن القرآن لم يذكر من حوادث التاريخ إلا ما كان له في أذهان العرب وجود براق ، ليم الغرض من الاعتبار للنشود .

أساطير الأولين

و « أساطير الأولين » كلمة قرآنية يحكيها القرآن عن العرب الذين يطيب لهم أن يشككوا فيما رواه من أخبار القدماء وهذه للكامة تشهد بأن جمهور العرب في تلك الأيام كان يملك ملامح من صور النقد الأدبي ، فقد كانوا بشهادة القرآن يسمون الأخبار إلى قسمين : صحيح ومدخول ، وكان من سياستهم في مقاومة الدعوة الإسلامية أن يضيفوا أخبار القرآن إلى القسم المدخول فيجعلوها من أساطير الأولين . وما صدق من هاندوا القرآن ، ولكن إصرارهم على مقاومته بهذا الأسلوب يشهد بما كانوا عليه من مكر ودهاء ، وهما من صور الدكاء

اختراع الروايات

والذي يراجع كتب التفسير وكتب الأخبار يعجب للثروة الأدبية التي سارت قصص القرآن ، وهي ثروة لم تورث كلها عن عرب الجاهلية ، وإنما ابتدعها فريق من الجاهليين وفريق من الإسلاميين ، وهي في جملتها شاهد على براعة العرب في ابتداع الأسفار والأحاديث

ولواهم كاتب بتلفيق^(١) ما اخترع للعرب من الأفاصيص المتصلة بالصور القرآنية لكان لنا من ذلك « إلياذة » عربية

(١) المراد بالتلفيق ضم ما تناسب من الأخبار بعضها مع بعض

تفوق الإلياذة اليونانية ، وتشهد بأن العرب لا يقولون عن اليونان في سمة التصور وقوة الخيال
فتى يوجد ذلك الكاتب ؟ ومتى ترجع لماضينا فنعرف ما كان فيه من تصاور وتهاويل ، ليضعف الوم للقتال بأن نصيب العرب من التخيل قليل ؟

مخاربه الوثنية

ولكن ما الذى دعا العرب إلى وقف تلك الحركة للفنية ، بحيث يُظنّ أنهم أقل الأمم عناية بزخرفة الأخبار المتصلة بالدين ؟ يرجع ذلك إلى تأثرهم بالقرآن في مخاربه الوثنية ، وهذه الدعوة للسليمة في جوهرها كانت السبب في صرف كثير من الأمم الإسلامية عن الزخارف الأدبية والفنية ، لأن الزخرف الأدبي والفنى لا يقوم إلا على التلوين والتزيين ، وذلك ممنوع في نظر رجال الدين ، لأنهم يرون الافتتان في زخرفة الأخبار الدينية أمراً لا يليق ، فقد بصرة للناس إلى الوثنية من حيث لا يشعرون

المحصار الفنى في الإسلام

ما معنى هذا التعبير الغريب ؟

أنا مقبل على عرض مسألة فنية كان لها تأثير في تضيق نطاق الدعوة الإسلامية ، وما أحب أن يتهمنى أحد بسوء النية ، فلي عرض شريف أرجو به من الله الثواب
ماذا أريد أن أقول ؟

أقول بصراحة إن الإصرار على تجريد المبادئ الإسلامية من الزخارف الفنية كان له تأثير في عرقلة الدعوة الإسلامية ، لأن الذين حرّموا التصوير وقاموا الأساطير نسوا أن في الدنيا ملايين لا تقاد لأية فكرة دينية إلا إن كانت موشاة بالزخرف والخيال ! ولهذا السبب ضاعت الفرصة في إسلام الأمة الروسية ، حين فكرت في امتتاق إحدى الديانات الساروة ، منذ بضع مئات من السنين

ظلت روسيا على عقائدها الوثنية إلى ما بعد ظهور الإسلام بأزمان طوال ، ثم بدا لها أن توازن بين المسجد والكنيسة ، فهالما أن ترى للمسجد عمروماً من البريق والرّواء ، وراعها أن ترى للكنيسة نحفة من القن المرصع بخرائب الخيال وسأت روسيا بعض علماء المسلمين عن قواعد الإسلام

فكان أول ما سمعت هو القول بتحريم الخمر ، مع أن نبي الإسلام لم يحرم الخمر إلا بتلطف واستدراج

وكذلك كانت غفلة الهداة عن سياسة القول سبباً في منع الإسلام من دخول البلاد الروسية ، كما كانت خشونة المساجد من أسباب الانصراف عن هذا الدين الحنيف

وأقول أيضاً : إن الحكمة في تجريد المساجد من الزخرف كان لها مكان في بداية الدعوة الإسلامية ، فما مكانها اليوم ولم يبق أثر للخوف من رجمة الوثنية ؟

يجب أن يكون لمساجدنا نصيب وافٍ من الزخارف الفنية ، ويجب أن تكون على جانب عظيم من الرونق والبهاء ، ويجب أن نشعر بأن جمالها يذكر بجمال الفردوس ، لتكون الواحة التي نأنس إليها عند الفرار من هجير الشقاء في طلب الماش

ما هذا الأزهر للغفر المرحس ؟

ألا تمتد إليه يد فتنتقله من حال إلى أحوال ؟

وما جامع عمرو في بلائه بالدنيا والزمان ، وهو أول مسجد أقيم في هذه البلاد ؟

وما هذه الخرائب المنورة في الحواضر والمدساكر على أنها مساجد ؟

أفيقوا من غفلتكم ، يا دعاة التقشف المدسوس على الدين ، وتذكروا مرة واحدة أن تجميل المساجد من أبواب الاقتصاد ، لأنه يبنى للناس عن تبديد أموالهم في المشارب والقهوات ، وبأى حق تكون بيوتكم أجمل من بيوت الله ، إلا أن تكون نياتكم أقيمت فوق خرائب وأطلال ؟

الى معالي وزير الأوقاف

وهو اليوم رجل يارع الأدب ، وافر الذوق ، متين الدين ، وكأنه سورة من محمد عبده أو عبد العزيز جاويز ، إلى الشيخ مصطفى عبد الرازق بإشأ أوجه القول :

في هذه الأيام — ولعل هذا من وحي خاطرك — أخذت وزارة الأوقاف تتأق في بناية المهارات المرصدة للاستغلال ، فلم يمد « بيت الوقف » كالقدي كان في ذهن حافظ إبراهيم وهو يداعب صديقه حفى ناصف ، وإنما صار « بيت الوقف » بينة تنافس بينة « الجرانند أوتيل » في باريس ، وصار طلاب المنافع عن طريق المهارات للشواحق بحشون منافسة وزارة الأوقاف فهل ترى من الخروج على عذجية بعض المشايخ أن يكون

في كل حاضرة مسجد أو مسجدان أو مساجد على أحدث طراز من التأنق في الزخارف الفنية ؟ أنت فرصة من الفرص السوانح ، يا مصطفي باشا ، فلي تكون وزارة الأوقاف إلى رجل مثلك في كل وقت ، فبادر إلى تجميل بيوت الله ، ليزيدك الله جمالاً إلى جمال ، وكالاً إلى كمال ، وليكون أسلوبك في الإصلاح ، شبيهاً بأسلوبك في الإنصاح

أهيبوا ، يا أصحاب الراسات

لنا صديق من رجال الأدب يحاول أن يحتكم إلى العقل في جميع المشكلات ، فما مشكلة اليوم عند هذا الصديق ؟ هو يوازن بين الاحتلال والاستقلال ، ومن رأيه أن الاستقلال وسيلة لا غاية ، فإذا تمت نعمة الرخاء مع الاحتلال فلا موجب لوجع الدماغ في طلب الاستقلال وأنا أنتظر آراء أسدقاء الرسالة في هذا الرأي للطريف لأنه باتناً كيد من الآراء التي تساور من منام الألمان بنعمة العاقية في ظلال الاحتلال ا

الرواج

أشرت في أحد الأحاديث إلى الأجاج ، فما الأجاج ؟ هو نوع من السمك الجيد ، وكان يوجد بالبحيرات المصرية ثم انقرض ، ولكن كيف انقرض ؟ كان الصيادون لجشعهم ، لا لجهلهم ، يضيئون عيون الشباك ليجتفوه بالثبات ، فكان من أثر هذا الجشع أن انقرض ذلك النوع من السمك النفيس

حدثني بهذا الأستاذ عبده حسن الزيات تأييداً لما كنت أقول من أن للقر سبباً الحياة لا الجهل . وهل يجهل أحد أوجه الضر والنفع حتى نقول إن للقراء يمدرون لأنهم جهلاء ؟ وهل كان جميع الأغنياء من اللزودين بلم الاقتصاد وعلم تدير الماش ؟ ما زلت أذكر ضحكة الشيخ عبد الباقي سرور ، رحمه الله ، وقد تلقينا في جريدة الأفكار سنة ١٩١٩ شكاية الصيادين من إصرار الحكومة على تضييق عيون شباك الصيد ا

كنا نظن عمل الحكومة تمسناً في تمسف ، ولم نكن ندري أن للثروة المصرية محتاج إلى حراس أمناء ، ولو كانت مصادر تلك الثروة في أعماق البحيرات واستطرد الأستاذ عبده حسن الزيات فقال : حضر أحد

النواب القريين إلى سعادة الأستاذ الجليل محمود فهمي النقراشي باشا ومعه وفد من الصيادين للطالين بتضييق عيون الشباك ، وكان للنقراشي باشا يومئذ وزير الداخلية ، فغضب وقال : « ألا يرف حضرة النائب المحترم أن هؤلاء الصيادين يريدون أن نمنهم على قطع ما من الله به عليهم من مصادر الرزق ؟ إن منعمة الصياد في أن تكبر الأسماك ، ليبيع بالواحدة لا بالثقة ، وليصبح الصيد من أنواع القروسية ، فما موجب الجشع في تضييق عيون الشباك ؟ مصر أمة بحرية ، ومع ذلك لا توجد عند أهلها التزعة البحرية في الأدب والبيان ، إذا استثنينا القصائد والرسائل التي أوحتها للشواطئ منذ أعوام فلال

أفلا يكون من أسباب اندمام الأدب البحري عند أهل مصر حرمانهم من السمك الجيد في النيل والبحرين والبحيرات ؟^(١) بأي حق يجوز أن يقضى للمصري سنة بدون أن يرى وفرة الأسماك في الأسواق ؟ أليس ذلك بهاناً على أننا لا نجد العناية لثروتنا الأهلية ؟

كانت أسماك مصر حديث القدماء من المؤرخين فأين هي اليوم ؟ إن أبناء مصر أبادوا الخماسيح من مياه النيل ، فكيف يتقون على الأسماك ؟

بلر أصمير أمين

جاء في « المنصورة » — وهي المجلة التي تصدرها مدرسة المنصورة الثانوية — أن الأستاذ أحمد أمين منصورى للثبات ، وأقول إن الأستاذ أحمد أمين نفسه حدثني أن آياه من المنوفية ، وإن محل بالتواضع فلم يدع أنه من ستريس

ولم يكن بهمنى أن يُزَيَّف نسب أحمد أمين إلى المنوفية ، ولكن مقاله عن « غاية العالم » أفتنى بأنه موهوب ، ولا بأس بإضافته إلى المنوفية ، وإن كان في مقاله عبارات سمحت مثلها في تمهيد الدكتور إبراهيم ناجي لبحثه عن « نفسية المرأة » مع فارق بسيط : هو أن الدكتور ناجي أشار إلى المصدر الذي نقل عنه وأن الأستاذ أحمد أمين لم يرم موجياً قلبك ، فدلنا من جديد على حسن هضته لما يقرأ من آراء الباحثين ، بحيث ينسى أنه ينقل عن هذا الفكر أو ذاك

بين الرسائل والثقافة

تلطف الأستاذ محمد فريد أبو حديد فنقل تحية أدياء السودان

(١) أدب البحر في نياته الأولى برجم إلى وصف الصيد

يترك أهل الإسكندرية بدم الجليل قبل أن يملوه مقابر للباغين
والمعتدين ، ولكن الظروف السميمة قضت بأن يعيش
الأسكندريون مجردين من السلاح ، وما أشق من يعيش بلا سلاح
في أيام لا يأتمر أهلها بشير البني والصدوان
هل تنفع مصر بهذا الدرس ؟ ومتى ؟ وكيف ؟
إن بلاء مصر بزعمائها سيطول ، ويطول ، ويطول ، متى
يعقلون ؟

يوم السبت

وأنا مع هذا لا أبأس ، ولن أبأس ، ما دام دم الفتوة
المصرية والفتوة العربية والفتوة الإسلامية ، يجري في عروق
الفتيان من أهل مصر والشرق
يجب أن نفهم جيداً أن القوات الأوربية صائرة إلى الفناء ،
لأنها تجاوزت حدود الله ، ولأنها تمسح بقتل الأبرياء ، ليم لها
ما تريد من إعزاز شرائع الشياطين
« ألمانيا فوق الجميع »

ذلك مطلع للنشيد الألماني ، وهو تذيير بما سيمير إليه
الألمان ، فاتفطرت أمة إلا ابتلاها الله بالقتل وسلط عليها
الضمضاء .

اعتقد فراعين مصر أنهم سلافة الشمس وأبناء السماء ،
فأدال الله منهم وعرض أحفادهم وأسباطهم لموادى الاستعمار
والاحتلال .

واعتقد الرومان أنهم سادة للناس ، فأباد الله ملكهم
بلا إسهال .

واعتقد العرب أن أرومتهم أشرف من جميع الأرومات ،
فكتب الله عليهم للتخلف ، وجعل نصر الإسلام بأيديهم
لأنهم خانوا عهد زعيمهم الأكبر ، ولم يفهموا أن الإسلام دين
مبادئ لا دين أجناس

فما مصير ألمانيا وهي تعتقد أنها فوق الجميع ؟

إن هذه العقيدة ستأني على بنيان ألمانيا من الأساس ،
فستؤلب عليها الشعوب ، وستخلق لها أعداء لا يعرف عدوم
غير من تقرد بالهزة والجهروت

« ألمانيا فوق الجميع » و « ألمانيا فوق الجميع » ثم « ألمانيا
فوق الجميع »

إلى مبارك والزيات ، وحدثنا أن الخطباء الذين أثنوا على جهوده
الأدبية كانوا يقولون إنه من كتاب « الرسالة » وأن ذلك وقع
من نفسه موقع الارتياح ، فقد سره أن تكون « الرسالة » على
أسنة جميع الناس في ذلك القطر لتشتيق
وأقول إن مجلة الثقافة أخلت للظن الجليل بمض الإخلاف ،
فقد كنا نرجو أن تكون أقوى من مجلة الرسالة ، وأن تفتح
باباً من المناقشة تنتمش به الحياة الأدبية ، ويتسع به المجال أمام
الشادين من أبناء الجيل الجديد

والحق أن ظنيان « الرسالة » على « الثقافة » يسر المتطلعين
إلى تقدم العلوم والآداب والفنون ، لأنه يشهد بأن القراء
في البلاد العربية قد وصلوا إلى غاية من الفضيح يصعب معها
الأميل في إرضائهم بالجهد القليل ، و « الرسالة » تبذل جهداً
لا تبذله « الثقافة » وإن استندت « الثقافة » إلى علماء من
« كل صنف » كانوا بذلك الأستاذ أحمد أمين

أنا أرجو أن تهتم « الثقافة » اهتماماً جدياً بتخصير
موضوعاتها ، وأن تسمى عناية خاصة بتخصير الشعر الذي نشره ؛
فقد يتوهم الناس في بعض الأقطار العربية أن الشعر في مصر
لم يبق له موازين يعرف بها الزاجج من الرجوح

والحرص على منغمة « الثقافة » هو الذي أبح أن توجه
إليها هنا للفند الرقيق ، مع الاعتراف بما تقدم من الوكود الجزل
لنار الأفكار والعقول

متى يحيى اليوم الذي نرى فيه خمسين مجلة من أمثال
« الرسالة » و « الثقافة » بالخصائص التي عُرفت من هاتين
المجلتين ، في التمسى إلى أدب القول وإعزاز البيان ؟
الله عز شانه هو الرجو لتحقيق هذا الأمل الجليل

أيام وأيام

وقمت غارتان على الإسكندرية في ليلة واحدة ، ومع ذلك
لم يُصَبَّ غير بضمة أشخاص ، فكيف وقعت هذه المعجزة بعد
انقضاء عهد المعجزات ؟

يرجع السبب إلى أن الناريتين وقعتا في أحياء هجرها أهلها
فراراً من شراسة الخطوب ، فإلى أسمى الدهر الذي يحكم بأن
يرى أهل الإسكندرية أن الحياة أفضل من الموت ؟
لو كان بيننا وبين الألمان حرب ، لكان من المستحيل أن